أثر المعاهدات الاوربية – العثمانية في انحلال الدولة العثمانية وسقوطها

أ.د. ياسين طه ظاهر
كلية المأمون الجامعة – قسم التأريخ

المستخلص :

يعكس التأريخ العثماني ، حقائق كثيرة ودروس متعددة تجعل من هذا التأريخ حاضراً في كل زمان ومكان ، فقد امتد على قرابة ستة قرون ، وخضعت للدولة العثمانية شعوباً وقوميات متعددة ، لذلك تقاطعت المصالح والاهداف بينها وبين الدول الاوربية ، ودفعتها في الدخول بحروب طويلة ، كان في نتائجها بعد كل هزيمة ، فرض ارادات الدول الاوربية عن طريق المعاهدات التي كانت من بين ابرز الاسباب في انحلال هذه الدولة وسقوطها ، وهذا ما سيتناوله بحثنا .

Abstract:

The Ottoman history reflects many facts and multiple lessons that make this history present in every time and place, as it spanned nearly six centuries. Multiple peoples and nationalities submitted to the Ottoman empire; hence interests and goals intersected between the empire and the European countries and pushed it towards long wars. After every defeat, the wills of European countries were imposed through treaties, which were among the main reasons for the dissolution and fall of this state. And this is what our research paper will address.

تمهيد :

لا يزال موضوع الدولة العثمانية يثير جدلاً ونقاشاً بين المؤرخين وان دراسة تأريخ الدولة العثمانية التي تأسست باتفاق جميع الدراسات ١٢٩٩ ، يحمل اكثر من رؤية واحدة ، او خضع لمناهج تأريخية عديدة كل واحدة منها قدمت العديد من الاسباب والعوامل في انهيارها وسقوطها ، وكلها تؤكد ان للعامل الخارجي الاوربي دوراً كبيراً في ذلك ، لانها ولفترة طويلة كانت تمثل (قوة عالمية) او بالمصطلحات السياسية المعاصرة تمثل قوة عظمى ، وظلت لقرون عدة تخضع لها شعوب وقوميات متعددة ، حتى ان المستشرق الفرنسي (Sarwaget) يقول : [١]

((انها في عام ١٦٢٩ كانت تفوق قدرة مجموع دول العالم اجمع ، ولم يشهد التأريخ الاسلامي ، كياناً سياسياً قوياً ومستقراً كـالامبراطورية العثمانية)).

(١) نقل لنا هذا الاقتباس (يلماز اوزنتونا) ، تأريخ الدولة العثمانية ، المجلد الاول ، ط١ ، ترجمة عدنان محمد سلمان ، مراجعة وتنقيح محمود الانصاري ، مؤسسة فيصل للتمويل والنشر ، اسطنبول ١٩٨٨ ص٩٥.

بل ان العديد من المؤرخين اطلق على النظام العالمي تسمية (النظام العثماني) .

وبالتأكيد ان مثل هذه الامبراطورية في اتساعها وحجم المنافسة الدولية ضدها ، خلقت لنفسها الكثير من التحديات الداخلية والخارجية ، وفي مقدمتها برزت حركات التحرر القومية خاصة في بلدان شبه جزيرة القرم والبلقان التي تنادي بالتحرر والاستقلال ، فضلاً عن المنافسة الاستعمارية للاستحواذ على ممتلكاتها .

وسنركز في هذا البحث على جانب واحد وهو اثر المعاهدات التي فرضتها الدول الاوربية بعد ضعفها وخسارتها في اكثر من جبهة واحدة وخاصة المعاهدات ذات التأثير الكبير في تراجع دورها وعجلت في سقوطها ونهايتها.

المبحث الاول

ما دوافع واسباب التحديات الاوربية للدولة العثمانية

عندما نجح العثمانيين في تأسيس دولة سلطانية كبيرة ، بدأت طموحاتهم خارج حدود الاناضول حتى وصف المؤرخ النمساوي بورن مورهامر (Buronmor Hamar) هذه الدولة بقوله : [٢]

((انها اصبحت اشبه ما تكون بمارد بغيض بأذرعه الجبارة على ثلاث قارات في وقت واحد))

وبالتأكيد ان صفحات تأريخ هذه الامبراطورية وتوسعها ، ارتبطت ببعض الاسماء من السلاطين العظماء ، فمثلاً ان الدولة العثمانية في زمن السلطان مراد الاول (١٣٥٩-١٣٨٩) اتخذ من مدينة (غاليبولي) الايطالية مركزاً متقدماً لعملياته العسكرية في اوربا ، واستقر النفوذ العثماني في زمنه في البلقان . [٣]

وهناك محطات تأريخية ، في تحقيق اهداف هذا التوسع ، ففي عهد السلطان بايزيد الاول (١٣٨٩-١٤٠٢) استولى على مدينة انقرة لتكون عاصمة لهم ، واصبحت تضم امبراطورية واسعة تشمل الاناضول والبلقان . [٤]

كان للسلطان سليمان القانوني (١٣٥٣-١٣٥٧) دوراً كبيراً في دخول العثمانيين الى القارة الاوربية بل اطلق على دوره تسمية (العبور الثاني) في التأريخ الاوربي . [٥]

والسبب في ان هذا السلطان سجل حدثاً تأريخياً في وصول الدولة العثمانية الى قلب اوربا ومحاصرة فيينا.[٦]

ولعل من ابرز صفحات المواجهة التأريخية بين العثمانيين والاوربيين ، هو سقوط الامبراطورية القسطنطينية على يد السلطان محمود الثاني والمعروف بالفاتح (١٤٥١-١٤٨١) . [٧]

---

(٢) يلماز اوزنتونا ، المصدر السابق ص٩٣ .

(٣) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمة وقدم له ، د.احمد السعيد سليمان ، تقديم د.احمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ١٩٦٧ ص١٧٦ .

(٤) ابراهيم خليل احمد ، تأريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، ما بعد الموصل ١٩٨٧ ص١٨ .

(٥) يلماز اوزنتونا ، المصدر نفسه ص٩٥.

(٦) تفصيلات اكثر :
محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، المصدر السابق ص١٨٣-١٩٢ .

(٧) ابراهيم خليل احمد ، المصدر السابق ص١٨ .

ولم يتوقف نشاطه التوسعي في القارة الاوربية عند فتحه القسطنطينية ، بل اراد ضم مملكة نابولي وصقلية ، وان تكون له السيادة على روما وبقية الامارات الايطالية . [٨]

وتظهر عظمة الدولة العثمانية وقوتها ايضاً في موقفها من التطورات السياسية لدول اوربا مثلاً لم يعترف السلطان سليمان القانوني في الامبراطور شارل الخامس كأمبراطور على الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وهي من اقوى الامبراطوريات . [٩]

وقام سليمان القانوني بتحريك قواته باتجاه بلغراد لان ملكها (لويس الثاني) قام بقتل سفراء السلطان ، وفعلاً سقطت بلغراد واصبح الطريق مفتوحاً امامه في احتلال كل اوربا ، واستمر الصراع بينها حتى انتصر العثمانيين مرة ثانية في معركة (موهاكس ١٥٢٢) ومقتل ملكهم وتقسيم مملكته الى ثلاثة اجزاء. [١٠]

وتزايد طموح العثمانيين في ضرب النمسا ومحاولات احتلال فيينا في سنتي (١٥٢٩ و ١٥٣٣) وفرض في هذا العام معاهدة تم تثبيت الحدود بين الطرفين وما لبث ان تجدد الصراع بين الامبراطوريتيين العثمانية والنمساوية . [١١]

كما عقدت الدولة العثمانية الكثير من الاتفاقيات مع الدول الاوربية مثل (اتفاقية كارلوفيتش) مع النمسا بعد خسارتها الكثير من مواقفها في شبه جزيرة البلقان وغيرها . [١٢]

ولقد اتفق المؤرخين ان مقدمات هذا الضعف بدأت في عهده ، وبدأ بالتأمر داخل البيت السلطاني حول وراثة العرش ، ولم يتوقف الامر عند ذلك ، بل ظهرت حروب داخلية بين ابناء بايزيد استمرت عشرة سنوات ما بين (١٤٠٣-١٤١٣) . [١٣]

وفضلاً الى ما شكلته هذه الامبراطورية من تحديات للاوربيين ، الا انهم نظروا اليها ، على انها ذات صبغة اسلامية ، وتقوم عقيدتها السياسية على فكرة الجهاد ، وابرزت الكثير من الاعراف والقوانيين والنظم والتشريعات والتنظيمات الاسلامية انطلاقاً من هذه العقيدة ، وهو في تقديري يعد العامل الاساس في مواجهة الاوربيين لهذه السلطنة ووقفت الكنيسة في مقدمة الداعمين لفكرة سقوط الدولة العثمانية ، وانهاء وجودها . [١٤]

---

(٨) يلماز اوزنتونا ، المصدر نفسه ص١٧٥ .

(٩) نوري عبد بخيت السامرائي ، محاولات التغلغل الرأسمالي الامريكي في الامبراطورية العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٠ ، السنة الثانية عشرة ١٩٨٦ ص١٦ .

(١٠) احمد نوري النعيمي ، الحياة السياسية في الدولة العثمانية ، بغداد ١٩٩٠ ص١٧٥ .

(١١) تفصيلات اكثر :
احمد عبد الرحيم مصطفى ، اصول التأريخ العثماني ، ط١ ، دار المشرق – القاهرة ١٩٨٣ ص٤٢ وما بعدها .

(١٢) نوري عبد بخيت السامرائي ، المصدر السابق ص٧٦ .

(١٣) علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية – عوامل النهوض والسقوط ، دار المعرفة ، بيروت ٢٠٠٤ ص٣٠٣ .

(١٤) تفصيلات اكثر حول مظاهر التطور هذه الدولة :
محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، المصدر السابق ١٨٣-١٩٢ .

والدليل في ذلك تشكيل اكثر من تحالف اوربي تقوده الكنيسة ، فقد تحالف البابا (بيوس الخامس) مع ملك اسبانيا خليفة الامبرطور شارل الخامس والبندقية ، وفعلاً قامت حملة بحرية ضخمة ، هاجمت الاسطول العثماني في ميناء (ليبانت) اليوناني ١٥٧١ واوقعت خسائر كبيرة . [١٥]

لذلك عملت الدول الاوربية (تحالفات او مجتمعه) ، على تحطيم هذه الدولة الاسلامية واضعافها وسقوطها وبكل الوسائل الداخلية والخارجية ، ومنها المعاهدات التي فرضتها عليها في حالات ضعفها. وقبل الحديث عن العوامل التي ساهمت في انحلال الدولة وسقوطها ، حدد المؤرخون ان العام (١٨٦٠) هو العام الذي اصبح التنافس الاستعماري على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية رغم ظهور بريطانيا وفرنسا بمظهر الحريص على وحدة اراضيها وممتلكاتها . [١٦]

المبحث الثاني

بعض العوامل المؤثرة في انحلال الدولة العثمانية وسقوطها

أولاً : اثارة قضايا الاقليات والفتن العرقية والدينية لاضعاف التماسك الداخلي .

ظل الصراع التأريخي مستعراً بين المسلمين والروم البيزنطينيين منذ صدر الاسلام ، هو صراع تأريخي عقائدي بين العالم الاسلامي واوربا ، وكانت الاناضول تسمى (بالثغور او التخوم) العازلتيين بين عالمي الصراع . [١٧]

وبرزت الدولة العثمانية كتكوين قومي للاتراك ، لكنها تضم العديد من القوميات والاقليات الدينية والعرقية وهذه الشعوب هي : [١٨]

((الاتراك ، العرب ، الصرب ، الارمن ، الكورد ، التركمان ، الفرس ، الالبانييون ، اليونان ، البلقان ، الهنغار، السلاف ، البلغار ، اليهود ، القرم ، الجراكسة ، الخزر ، الكرج ، القوقاس ، الاحباش وغيرهم)) .

ومن هذه الوسائل لاضعاف وانحلال الدولة العثمانية :

١- استغلال العامل الديني وضعف التماسك الداخلي ، حيث قامت اوربا بدعم ما يسمى بحركات الاستقلال القومي وظهرت اول ثورة في اليونان (هيمسلتي) ١٨٢١ ، وفشلت ثم قامت ثورة المورث ١٨٢٢ ، وقام اليونانييون بالذابح ضد الجيش العثماني والمسلمين ، وتحولت هذه الى (حرب دينية) وتدخلت الدول الاوربية في دعم اليونان ضد الدولة العثمانية . [١٩]

---

(١٥) احمد عبد الرحيم مصطفى ، اصول التأريخ العثماني ، المصدر السابق ص٤٣ .

(٢) محمد محمد صالح ، ياسين عبد الكريم ، نوري السامرائي ، موقف الدولة الكبرى بين الحربيين العالميتين ١٩١٤-١٩٤٥ ، جامعة بغداد ١٩٧٨ ص٣٦٦ .

(١٧) CF.E. Pitcher, an historical geography of the Ottoman empire, from the earliest times to the end of the sixteenth century, London 8 E.l Brill. 1922 P.128.

(١٨) محمد فؤاد كوبرلي ، المصدر السابق ص١٨٥ .

(١٩) تفصيلات اكثر :

محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية – المسألة الشرقية ، القاهرة ١٩٧٢ ص٩٧ .

ستة اسباب ادت الى سقوط الامبراطورية العثمانية ، ص٢٠٢-٢٠٣ . Aljazeera.net

كما قامت ثورة في (صربيا) من شبه جزيرة القرم وخضعوا للسلطة العثمانية منذ عام ١٣٨٩ وقاموا بسلسلة من الثورات ضد السلطة العثمانية ، ووقفت الدول الاوربية مع صربيا واضطرت الدولة العثمانية بعد توقيعها على معاهدة (أدرنه ١٧١٣) وبموجب هذه الاتفاقية انتهت السيطرة العثمانية على البحر الاسود وبرزت بداية النهاية لسقوط الدولة . [٢٠]

ومن المواقف السياسية الاوربية في اثارة الفتن العرقية والطائفية ، حيث طالب رئيس الوزراء البريطاني (كلادستون) بعد هذه الثورات ، في كتاب له بعنوان (ابطال بلغاريا ومشكلة الشرق) طالب فيه بطرد العثمانيين من اوربا وتحرير الشعوب الاسلامية والمسيحية من السيطرة العثمانية . [٢١]

كما ان الاحتلال الفرنسي لمصر بقيادة نابليون بونابرت (١٧٩٨-١٨٠١) كشف عن عجز هذه الدولة في الدفاع عن وجودها ، وهناك عامل اخر ساهم في التعجيل بسقوط الدولة العثمانية وهو دور الحركة الصهيونية الذي ظهر بعد رفض السلطان عبد الحميد الثاني منح فلسطين لهم ، فتأسست جمعيات سرية وعلنية ساهمت في اضعاف الدولة العثمانية وسقوطها في مقدمتها (جمعية الاتحاد والترقي) التي قامت بانقلاب ١٩٠٨ واثارت النزعات العرقية والطائفية . [٢٢]

وقد اشار السفير البريطاني في اسطنبول في تقرير له الى حكومته عام ١٩١٠ الى حقيقة الدور الصهيوني في اسقاط الدولة العثمانية : [٢٣]

((ان سيطرة اليهود على الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة ، وان الجمعية تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفاً ثنائياً يهودياً تركياً ..)) .

ثانياً : قانون الامتيازات العثماني [٢٤]

من الوسائل التي اعتمدها الغرب الاستعماري في اضعاف الدولة العثمانية وسقوطها هو قانون الاستثمارات العثماني ، وقد ظهر بعد مؤتمر برلين ١٨٧٨ الذي يمثل البداية الاولى في تعزيز النفوذ الاجنبي وخاصة الالماني والفرنسي والبريطاني ، وبرزت المصالح والنفوذ الالماني واضحاً في البلاط السلطاني . [٢٥]

---

(٢٠) تفصيلات اكثر :
عبد الحميد البطريق ، تأريخ اوربا الحديث في عصر النهضة الى مؤتمر فيينا ، مطبعة جامعة الرياض ، بلا ص١٩٨ .
وكمال الدين احسان اوغلو ، الدولة العثمانية – تأريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعد ، مركز الابحاث في التأريخ والقانون والثقافة الاسلامية ، استنابول ١٩٩٦ . ص٧٥ ز

(٢١) هـ . أ. ل. فشر ، تأريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، ترجمة احمد بخيت ، وديع الضبع ، ط٦ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ ص٢٧ .

(٢٢) تفصيلات اكثر :
موفق بني المرجه ، صحوة الرجل المريض او السلطان عبد الحميد الثاني ، مؤسسة الريان ودار البيارق – الكويب ١٩٨٤ ص١٧٤ .

(٢٣) تفصيلات اكثر :
مصطفى طوران ، يهود الدونمة ، ترجمة عن التركية ، كمال موجه ، ط١ ، دار السلام ١٩٧٧ ص٥
وموفق بين المرجه ، المصدر السابق ص٢٥٦ .

(٢٤) ديفيد فرومكين ، نهاية الدولة العثمانية وتشكل الشرق الاوسط ، قراءة وتقديم الدكتور منذر الحايك ، ترجم النصوص وسيم حسن عبدو ، بغداد ٢٠١٥ ص٩٠.

(٢٥) عبد الحميد العبادي ، المجمل في تأريخ اوربا الحديث ، القاهرة بلا ، ص٨٠-٨١ .

وبفعل هذه الامتيازات قام التجار الاجانب بتأسيس القنصليات والمقيمات ، وقيام دولهم بدعمهم ويشكلون جاليات ذات نفوذ قوي . [٢٦]

لقد اتخذت هذه الاستثمارات الاجنبية الاستعمارية في الاقاليم التابعة للدولة العثمانية وخاصة في الوطن العربي شكليين اساسيين :

أولهما : الاستثمار المباشر في مشروعات المواصلات والنقل لخدمة التجار الاوربيين ، واقامة السكك الحديدية مثل (الشركة العثمانية لسكك حديد الاناضول). [٢٧]

ثانيهما : الاستثمار غير المباشر واقامة المشروعات بشروط مجحفة وبتكاليف مالية كبيرة وغير حقيقية ، وتورطت في مشاريع زراعية وصناعية وفي المواصلات مثل قيام شركة عثمانية برصيد فرنسي بتوسع ميناء بيروت ١٨٨٨ فقد كانت هذه الاستثمارات سبباً في الاحتلال الاجنبي . [٢٨]

والذي زاد في تفاقم مشكلة النفوذ الاجنبي هي قيام الدولة العثمانية (بالاستدانة) من البنوك الاجنبية لمواجهة التحديات ، ومن ابرز المؤسسات المالية التي قدمت قروض للدولة العثمانية مؤسسة روتشيلد في لندن التي قدمت قرض في ٢٧ حزيران ١٨٧٥ . [٢٩]

ثالثاً : اثر المعاهدات المفروضة على الدولة العثمانية

شهد تأريخ الدولة العثمانية مرحلة كانت فيها دولة ذات قدرات عالمية تسعى اليها الدول من اجل كسب صداقتها، وتوافق على عقد المعاهدات معها بالشروط التي نريدها مثلما فعلت جمهورية (راجوزه) التي عقدت اول معاهدة ودية تجارية وهي دولة مسيحية ايطالية .[٣٠]

وكانت اول معاهدة ضد الدولة العثمانية بين (البابا وملك اسبانيا والبندقية) هي معاهدة ١٥٧١ ، وحققت انتصاراً بحرياً كبيراً في (معركة ليبانتو) واحتفل الاوربيين بهذا الانتصار. [٣١]

وسبق للكنيسة ان طالبت الدول الاوربية بتشكيل (تحالف صليبي – اوربي) وظهر هذا التحالف بعد احتلال بايزيد الاول بلغاريا عام ١٣٩٣ مما احدث خوفاً وفزعاً في اوربا . [٣٢]

---

(٢٦) علي محافظه ، موقف فرنسا والمانيا وايطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ – ١٩٤٥ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ١٩٨٥ ص١٦ .

(٢٧) تفصيلات اكثر :
هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث ١٩٠٠-١٩٥٠ ، ط١ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٨٩ ص٩-١٢ .
وجلال احمد امين ، المشرق العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ١٩٧٩ ص٥٥ .

(٢٨) زكي صالح ، بريطانيا وفرنسا حتى عام ١٩١٤ ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٨ ص١٦٥ .

(٢٩) تفصيلات اكثر :
وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٣٠ ، مساهمة في دراسة تكوينها الاجتماعي بيروت ١٩٧٨ ص٤٢ .

(٣٠) محمد فريد بك ، تأريخ الدولة العلية والعثمانية ، تحقيق الدكتور احسان حقي ، ط١ ، دار النفائس – بيروت ١٩٦٨ ص١٩٢.

(٣١) احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التأريخ العثماني ، المصدر السابق ص١٤٧ .
وعلي الصلابي ، المصدر السابق ص٣٠٧-٣١٠ .

(٣٢)عايض بن عزام الدونمي ، حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني ، بيروت ١٩٧٥ ص١٠٣.
والصلابي ، المصدر السابق ص٢٧ .

ولقد فرضت الدول الاوربية معاهدات (سيئة للغاية) في شروطها ، بعد قيامها بالحروب ضد الدولة العثمانية مما سببت ضعفها وسقوطها وهي باختصار :

١- معاهدة كوتشوك (كيبنارجا) ١٧٧٤ :

تعد من اسوء هذه المعاهدات ، جاءت بعد حروب عديدة بين الدولة العثمانية والدول الاوربية في شبه جزيرة القرم ، اقليمي (الفلقان والبغدان) ١٧٧٣ ، ومن بين شروطها اعطاء الحق لروسيا لبناء القنصليات في اي مكان بالدولة العثمانية مع قيامها بدفع (١٥) كيس ذهب سنوياً ولمدة ثلاث سنوات وتبعتها بالتوقيع على معاهدة (ان كرمان) ١٨٣٢ ومن اهم بنودها اعطاء الحق لروسيا في الملاحة بالبحر الاسود . [٣٣]

٢- معاهدة كارلوفتز ١٦٣٩ :

هذه المعاهدة هي من المعاهدات المهينة التي سببت سقوط الدولة العثمانية ومن نتائجها تسليم المجر الى النمسا وظهور امبراطورية النمسا والمجر بعد ذلك . [٣٤]

٣- معاهدة ادرنة ١٨٢٩ :

جاءت هذه المعاهدة بعد قيام الثورة في صربيا وهي جزء من شبه جزيرة البلقان والتي تضم (بلاد مقدونيا والجبل الاسود) وجاءت هذه الثورة بعد نجاح الثورة في اليونان . [٣٥]

وهذه الثورات دفعت السلطان في التوقيع على معاهدة ادرنه ١٨٢٩ التي ضمت بموجبها الاستقلال الذاتي لصربيا في ظل السيادة العثمانية مع دفع الجزية السنوية ووجود حامية عسكرية عثمانية ، ولكنها لم توقف الثورات بل ظهرت في البوسنة والهرسنك ١٨٧٦ وبلغاريا ١٨٧٦. [٣٦]

٤- حرب شبه جزيرة القرم ١٨٥٤ والتوقيع على معاهدة باريس ١٨٥٦

كان السبب المباشر في قيام هذه الحروب هو تدخل روسيا في شبه جزيرة القرم واثارة الشعوب السلافية ، وهناك هدف اخر هو رغبتها في التوسع على حساب الممتلكات العثمانية للوصول الى ما كان يطلق عليه (الاراضي الدافئة) وتدخلت تحت مبررات حماية هذه الشعوب من (الاستبداد العثماني) وقف الاوربيون الى جانب الدولة العثمانية ليس حباً منها او حماية لممتلكاتها ، انما في ايقاف التوسع الروسي وانتهت هذه الحرب بخسارة روسيا والتوقيع على معاهدة باريس في (٣٠ آذار ١٨٥٦) لتمثل بداية الوصاية الاوربية على الدولة العثمانية . [٣٧]

٥- معاهدة (سان استيفانو) ١٨٧٨

([٣٣]) محمد محمد صالح ، واخرون المصدر السابق ص٩٨ .
ومحمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ص٩٦ وما بعدها .

([٣٤]) محمد محمد صالح واخرون ، تاريخ اوربا ، المصدر السابق ص١٩٦-١٩٧ .

([٣٥]) كانت اليونان تخضع للدولة العثمانية في زمن السلطان مراد الثاني ١٤٢١-١٤٥١ وساعدت معاهدة (كوجاك كينارجي) ١٧٧٤ اليونانيين في بناء السفن الكبيرة واصبحوا يمتلكون حتى عام ١٨١٣ (٦١٥) سفينة ، وقاموا باول ثورة عرفت (ثورة همسلتي) سنة ١٨٢١ وفشلت وقامت (ثورة المورة ١٨٢٢-١٨٢٧)

([٣٦]) نور الدين حاطوم ، تأريخ الحركات القومية ، ط١ ، بيروت ١٩٦٧ ص١٣٣-١٣٨.

([٣٧]) عبد الوهاب القيسي ، طارق الحمداني ، عبد الجبار عطيوي ، تأريخ العالم الحديث ١٧٨٩-١٩١٤ ، جامعة بغداد ١٩٨٥ ص٢٣٧.

كانت هذه المعاهدة من اسوأ المعاهدات واثبتت نتائجها بان الدولة العثمانية كانت في وضع ضعيف ، حيث جاءت بعد ان الحقت روسيا الهزيمة بالدولة العثمانية ، واسر الجيش عثماني من قبل روسيا قوامه (٢٦) الف عام ١٨٧٨ ، وتمكنت الجيوش الروسية من احتلال ادرنه . [٣٨]

فأرسلت بريطانيا مذكرة لروسيا حذرها من احتلال القسطنطينية المضايق المائية ، فطلب السلطان من قيصر روسيا الهدنة بعد سقوط ادرنه وفعلاً تم التوقيع على (سان استيفانو) في ٣ آذار ١٨٧٨ ، وتقرر بموجبها استقلال الجبل الاسود والصرب ورومانيا وعارضت الدول الاوربية هذه المعاهدة وطالبوا باعادة النظر فيها ، واستبدالها بمعاهدة يكون الاوربيون طرفاً فيها ولذلك اتفقوا على حضور مؤتمر في برلين للنظر في هذه المعاهدة . [٣٩]

٦- معاهدة برلين ١٨٧٨

سارعت الدول الاوربية بعد التوقيع على معاهدة (سان ستيفانو) الى رفضها لان روسيا فرضت امتيازات كثيرة عليها . [٤٠]

واجبر السلطان التوقيع عليها بعد سقوط مدينة (ادرنه) وجعلت من روسيا تتحكم بالمضائق المائية ودعت الدول الاوربية بعد رفضها لهذه المعاهدة الى عقد مؤتمر في برلين (٣ آذار ١٨٧٨) كان من نتائج اعلان (معاهدة برلين) لتكون بديلة عن معاهدة (سان استيفانو) . [٤١]

وصدرت هذه المعاهدة رسمياً في ١٣ تموز ١٨٧٨ ولم تعد الدولة العثمانية ، بعدها دولة كبرى او من الامبراطوريات مما عجلت هذه المعاهدة في قيام الانقلاب على السلطة العثمانية ١٩٠٨ وجعلت هذه المعاهدة الامبراطورية الالمانية التي نشأت ١٨٧١ وهي القوة الجديدة التي تتحكم بالنظام الدولي الجديد قبل الحرب العالمية الاولى .

٧- معاهدتي (سيفر ولوزان) وسقوط الدولة العثمانية :

عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا ، كانت الدول الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا تعمل في الخفاء من اجل تقسيم ممتلكاتها وانهاء وجودها كدولة كبرى وفرض مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ على الدولة العثمانية معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠ باعتبارها من الدول المهزومة . [٤٢]

([٣٨]) محمد محمد صالح ، المصدر السابق ص٢٨٨ .
ولبيب عبد السائد ، التأريخ المعاصر ، ط٣ ، دار المشرق – بيروت – لبنان ١٩٨٦ ص١٢.

([٣٩]) تفصيلات اكثر :
محمد محمد صالح واخرون ، تأريخ اوربا ، المصدر السابق ص١٩٦-١٩٧.
وديفيد فرومكين ، نهاية الدولة العثمانية ص١٢٤ .

([٤٠]) فشر ، المصدر السابق ص٣٧٠-٣٧١ .

([٤١]) تفصيلات اكثر :
محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، المصدر السابق ص٢٨٨ .

([٤٢]) فرض مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ مجموعة من المعاهدات على الدول المهزومة في الحرب العالمية الاولى ، وكانت ذات تأثير سلبي كبير على هذه الدول ، فقد فرض معاهدة فرساي على المانيا ومعاهدة (سان جرمان) على النمسا وهي

وكانت شروط هذه المعاهدة قاسية منها اعطاء اليونان معظم اراضي (ترافيا) ولم يبقى لتركيا في اوربا سوى اسطنبول . [٤٣]

واتهم الاتراك ممثلو حكومة السلطان الذين وقعوا المعاهدة بالخيانة العظمى ، والغيت في هذه المعاهدة (قانون الامتيازات الاجنبية) التي فتحتها الدولة العثمانية للدول الاجنبية . [٤٤]

وقاد المعارضة ضد هذه المعاهدة مصطفى كمال اتاتورتك ، وسببت هذه المعاهدة قيام الحرب بين تركيا واليونان في (٢٢ آيار ١٩٢٠) مما دفع الدول الاوربية الى عقد مؤتمر في لندن (آذار ١٩٢١) وقبلت حكومة السلطان حضور وفد من ممثلي انقرة هذا المؤتمر بتأييد وضغط من حكومتي فرنسا وايطاليا. [٤٥]

وقام اليونانيون بالهجوم الاخير في حزيران ١٩٢١ الذي انتهى بالهزيمة وانتصار كمال اتاتورك فانهارت معاهدة سيفر لتحل محلها معاهدة جديدة باسم (معاهدة لوزان) في ٢٤ تموز ١٩٢٣ ، واستعادت بموجبها تركيا ولاية (تراقيا) وتحررت من التدخل الاوربي . [٤٦]

واتخذ كمال اتاتورك الذي اصبح اول رئيس للجمهورية التركية في (٢٣ تشرين الاول ١٩٢٣) من قبل الجمعية الوطنية في انقرة قراراً بالغاء الدولة العثمانية في آذار ١٩٢٤. [٤٧]

الخلاصة :

من ابرز الاستنتاجات التي يخرج بها الباحث في الشؤون العثمانية ان الدولة العثمانية التي نشأت تأريخياً في ١٢٩٩ قد ولدت بعد سقوط الدولة العباسية التي دامت خمسة قرون ، ودامت هذه الدولة الجديدة (ستة قرون) امتدت على مساحات شاسعة تشمل ثلاث قارات ، وكانت نشأت (قبيلة) ولقب (الخط) في نظر المؤرخين دوراً في هذه النشأة .

وبلغ عدد السلاطين الذين حكموا هذه الامبراطورية من (١٢٨١-١٩٢٤) ثمانية وثلاثون سلطاناً ولكن اختلفت قدراتهم وادوارهم ، والعدد القليل منهم من السلاطين الذين وصفهم المؤرخين بالعظماء .

واتفق هؤلاء المؤرخين بان نهاية حكم السلطان سليمان القانوني هي بداية في ضعف هذه الدولة ، حيث ظهرت حالات التآمر في البيت السلطاني على وراثة العرش وكانت تضم شعوباً وقوميات مختلفة ، شكلت تراكيب

الثانية في قساوتها بعد المعاهدة الاولى و(معاهدة تريانون) على المجر وانهت دور الامبراطورية المجرية في حين فرضت معاهدة سيفر على الدولة العثمانية .

ولم يسمح مؤتمر فرساي للدول المهزومة الحضور الى المؤتمر في حين سمح مؤتمر فيينا ١٨١٥ لمندوب فرنسا بحضور المؤتمر .

عبد الوهاب القيسي ، طارق الحمداني ، عبد الجبار عطيوي ، تأريخ العالم الحديث ١٩١٤-١٩٤٥ / جامعة بغداد ١٩٨٥ ص١٣٧.

فشر ، معاهدات الصلح ص٥٤٧-٥٦٧ .

([٤٣]) بيروفوتن ، تأريخ القرن العشرين ١٩١٩-١٩٤٨ ، ترجمة نور الدين حاطوم ، دمشق ١٩٥٦ ص٣٨.

ومحمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ص٤١٧ .

([٤٤]) فشر ، المصدر السابق ص٥٨٤ -٥٨٥.

([٤٥]) بيير وفولتن ، المصدر السابق ص٤٥.

([٤٦]) احمد فؤاد متولي ، تأريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ، مكتبة ابتراك للنشر والتوزيع – القاهرة – بلا ص٣٠٦-٣١١.

([٤٧]) لبيب عبد السائد ، المصدر السابق ص٣٠ .

المجتمعات العثمانية ، لذلك جعل التأريخ العثماني بحوادث تأريخية عظمى وحاسمة ، ليس في حياة الامبراطورية ذاتها انما في تأريخ البشرية .

بلغت هذه الامبراطورية اوج عظمتها في النصف الاول من القرن السادس عشر ، واستطاعت ان تسيطر على الممرات المائية الدولية كالحوض الشرقي للبحر المتوسط ، ونافست العديد من الدول والقوى الدولية ، ودخلت في صراعات مع الروس والانكليز والفرنسيين والنمساويين ، وحاولنا تأشير الكثير من العوامل الخارجية التي ساهمت في التعجيل بسقوط الدولة العثمانية ونهايتها منها المعاهدات الخارجية التي فرضتها الدول الكبرى عليها بسبب حروبها.

ويؤشر لنا هذا البحث الكثير من القضايا منها ان الامم والامبراطوريات التي تسعى الى فرض ارادتها بقوة السلاح لا يمكنها ان تستمر في احكام سيطرتها بل على العكس ستسعى هذه الدول للتخلص من الاحتلال وتحقيق الاستقلال وهذا ما حصل مع الدولة العثمانية والامبراطوريات التي شهدها التأريخ.

المصادر :

١- احمد ابراهيم خليل ، تأريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، جامعة الموصل ١٩٨٧ .

٢- اوزنتونا يلماز ، تأريخ الدولة العثمانية ، المجلد الاول ، ط١ ترجمة عدنان محمد سلمان ، مراجعة وتنقيح محمود الانصاري ، مؤسسة فيصل للتمويل والنشر – اسطنبول ١٩٨٨ .

٣- اوغلو – كمال الدين احسان ، الدولة العثمانية – تأريخ حضارة ، ترجمة صالح سعد ، مركز الابحاث في التأريخ والقانون والثقافة الاسلامية – اسطنبول ١٩٩٩ .

٤- البطريق ، عبد الحميد ، تأريخ اوربا الحديث في عصر النهضة الى مؤتمر فيينا ، مطبعة جامعة الرياض ، بلا.

٥- الدسوقي ، محمد كمال ، الدولة العثمانية – المسألة والشرقية لمعاهدة ١٩٧٢ .

٦- الدونمي ، عايض بني ، حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني ، بيروت ١٩٧٥.

٧- العبادي ، عبد الحميد ، المجمل في تأريخ اوربا الحديث ، القاهرة ، بلا .

٨- السامرائي ، نوري عبد بخيت ، محاولات التغلغل الرأسمالي والامريكي في الامبرطورية العثمانية ، قبل الحرب العالمية الاولى ، مجلة المؤرخ العربي العدد (٣٠) لسنة الثانية عشر ١٩٨٦ .

٩- الصلابي ، علي محمد ، الدولة العثمانية ، عوامل النهوض والسقوط ، دار المعرفة – بيروت ٢٠٠٤ .

١٠- المرجة ، موفق بني ، صحوة الرجل المريض او السلطان عبد الحميد الثاني ، مؤسسة الريان ودار البيارق – الكويت ١٩٨٤ .

١١-النعيمي ، احمد نوري ، الحياة السياسية في الدولة العثمانية، بغداد ١٩٩٠.

١٢-بك ، محمد فريد ، تأريخ الدولة العلية والعثمانية ، تحقيق الدكتور احسان حقي ، ط١ ، دار النفائس – بيروت ١٩٦٨ .

١٣-صالح ، زكي ، بريطانيا وفرنسا حتى عام ١٩١٤ ، مطبعة العاني – بغداد ١٩٦٨ .

١٤-صالح ، محمد محمد ، ياسين عبد الكريم ، نوري السامرائي ، موقف الدول الكبرى بين الحربين العالميتيين ١٩١٤-١٩٤٥ ، بغداد ١٩٧٨.

١٥-حاطوم ، نور الدين ، تأريخ الحركات القومية ، ط١ بيروت ١٩٦٧ .

١٦-طوران ، مصكفى ، يهود الدونمة ، ترجمة عن التركية ، كمال موجة

١٧-عبد الساتر ، لبيب ، التأريخ المعاصر ، ط٣ ، دار المشرق – بيروت لبنان ١٩٨٦ .

١٨-فشر ، هـ.أ.ل. ، تأريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة احمد نجيب ، وديع النبع ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ .

١٩-فوستر ، هنري ، نِشأة العراق الحديث ١٩٠٠-١٩٥٠ ، ط١ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٨٩ .

٢٠-فرومكين ، ديفيد ، نهاية الدولة العثمانية وتشكيل الشرق الاوسط ، قراءة وتقديم الدكتور منذر الحايك ، ترجم النصوص وسيم حسن عبدو ، بغداد ٢٠١٥ .

٢١-كوبرلي ، محمد فؤاد ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمه وقدم له ، احمد السعيد سليمان ، تقديم احمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢٢-كوثراني ، وجيه ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٣٠ ، مساهمة في دراسة تكوينها الاجتماعي – بيروت ١٩٧٨ .

٢٣-لبيب ، حسين ، تأريخ المسألة الشرقية ، القاهرة ١٩٥٨ .

٢٤-مصطفى ، احمد عبد الرحيم ، اصول التأريخ العثماني ، ط١ ، دار الشروق – القاهرة ١٩٨٣.
٢٥-محافظة ، علي ، موقف فرنسا والمانيا وايطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩-١٩٤٥ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ١٩٨٥ .
٢٦-متولي ، احمد فؤاد ، تأريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ، مكتبة ابتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة – بلا .
٢٧-وفوتن ، ببير ، تأريخ القرن العشرين ١٩١٩-١٩٤٨ ، ترجمة نور الدين حاطوم ، دمشق ١٩٥٦.

المصادر الاجنبية :

1- Cf.E. Pitcher, an historical geography of the ottoman empire, from the earliest times to the end of the sixteenth century, London, 8 E.l Brill.1972.

القنوات الاعلامية :

1- Aljazeera.net 8/3/2020
موضوع بعنوان (ستة اسباب ادت الى سقوط الامبراطورية العثمانية)